وأصلحوا ذات بينكم

والمعدن الصافي لا يقوى عن الصدأ، ومن لا يهذب نفسه بسلاح الإخلاص واليقين لا تهذبه قوة إلا التي تنبع من نفسه، ولا تنفعه أية تعويذة إلا إذا استعاذ بمولاه جل علاه ورجع إليه رجوع الآبق إلى سيده وأصلح بين عقله ونفسه بالعدل والإنصاف. قال تعالى: "**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** "(سورة الحجرات/9). وقال أيضا: " **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**"(سورة الأنفال/1).

والقتال بينهما مرير، وثمن النصر على الغرور باهض. واعلم أن الدرع نصف المحارب. ولا تبكي إلا فرحا بالنصر أو بالشهادة عند لقاء المحبوب. قال عليه الصلاة والسلام: " من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه" وتأتي النفس لتحارب العقل على أرض الملذات، وتشتعل بينهما نيران الحسد والأضغان، وترميه بسهام الطمع والجبن حتى يفر هاربا إن فقد صبره وعزمه وقوته التي منحها له الفؤاد السليم. قال تعالى: "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** "(سورة الأنفال/60).

والفرار يوم الزحف كبيرة إلا كحيلة دفاع. والنفس تتعرض لزلزال وهي تواجه الموت. والفرار يوم الزحف لا يطيل أجلا. قال تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** "(سورة الأنفال/45).... فعدو الله واحد وإن تعددت انواعه كتمساح باسط يديه ورجليه على الأرض يلتقم بفمه ما يلقاه في طريقه، وإن تعذرت جوارحه الاربعة–أعني الشيوعي والرأسمالية والصهيونية والدينية–ساعدها ذيله الطويل، قال تعالى: " **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** "(سورة الأنفال/60). وأعني بذلك سفارات الصهاينة في بلدان الإسلام، وبقي المسلمون حيارى لا مأوى لهم، وقد بنى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صرحا ممردا من قوارير، وما التحق بالرفيق الأعلى حتى أتم تجهيزه، ولكن منعهم من رؤيته والتمتع بأنواره ضباب التفرقة والعصبية.

فبالتوحيد تجري الأمور على طبيعتها وترجع المياه إلى مجاريها ولا يجوز أن تخفت صيحة الله أكبر من أفواه المجاهدين في كل المعارك، لأنها تبعث في نفوس الكافرين الرعب والفشل والهزيمة. قال تعالى: "**أطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**" (سورة الأنفال/46). فالأمة الإسلامية تستمد شرفها من طاعة ربها. واعلم أن أساس الدعوة البلاغ لا الإكراه والقتال، والإسلام لا يحارب إلا

لمنع الفتنة أو إزالة طغيان في الأرض والدفاع عن الحقوق وحماية المستضعفين. ودين الله أشرف من أن يؤخذ من أفواه الحُمقاء، وقوة الرعية من قوة الله، فإذا أطاعت ربها وأحكمت فيها حكمه أمدّها الله بالنصر المبين.

فكما يكره الهجوم بلا إذن الإمام لا يستطيع كذلك العقل المنير مهاجمة النفس بلا سلاح التأمل في مخابئ الشيطان فيها، وجاز التجسس في إعلاء الحق، وعليه أن يكتم سرّه فيصاحب النفس تارة ويزيل عليها بضيائه بعض ظلمات الهوى تارة أخرى. ويعلمها لغة التواضع والإنفاق والثبات في الأهوال والصدق في الحال والمقال. وإن خاف منها نشوزا قدمها لمحكمة القلب والجوارحُ عليها شهود، فتلوم نفسها بنفسها وترضى بقضاء ربها وتخضع شوقا لرب العالمين فتلك النفس المطمئنة التي يخاطبها جل علاه ويأمرها بالدخول في حضرته. قال تعالى: " **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي** "(سورة الحجرات/30-32).